Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحسنيين، ولا مجال للتعقيب عليه إلا بالحسنى، . . . أما إذا فرع في جانب دون جانب فإنه لن يسلم من ألسن الناقدين. . . وهنا يطفر السؤال المختوم، الذي كان ولا يزال ينتظر الجواب:

«أيهما أفصح: **بلاغة اللفظ أم بلاغة المعنى؟**»

ونرى أن جانب اللفظ هو الميدان الفسيح لفرسان البيان، إليه ينفرون، وفيه يتنافسون، ومن ثم كان مهد البلاغة والعبقرية. . . أما المعنى فيكفي أن يكون صواباً، ثم هو بعد ذلك محدود الأفق، ضيق المجال، لا يتسع لبراعة الأدباء «ألا ترى، لو أن رجلا أراد، في المدح، تشبيه رجل ما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر، وفي الإقدام بالأسد، وفي المضاء بالسيف، وفي العزل بالسيل، وفي الحسن بالشمس، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد، الجامع للرقة والجزالة، والعذوبة والطلاوة، والسهولة والحلاوة، لم يكن للمعنى قدر»[1].

ومن ثم كانت العبرة بقوة الأداء التي تتطلب دقة التعبير، وانتقاء الكلمات، و«موسقة» الألفاظ؛ وإحكام الربط بين الجمل، والملاءمة بين الفواصل، وغير ذلك مما يجمل العبارة بألوان الزخرف، ويطرز حواشيها بأنواع البديع. . . ومتى أشرقت العبارة بكل هذا، أشرقت المعاني، وبدت صور الخيال رائعة في هذا الإطار اللفظي الجميل. . .

وإذ كانت الألفاظ أوعية المعاني كما يقولون، فإن الأديب البليغ هو الذي يعرف كيف يختار لمعانيه أنسب القوالب مادة، ولوناً، وهيئة. . أما المادة فهي الألفاظ، وأما الألوان فهي المحسنات البديعية، وأما الهيئة فهي الأسلوب. . . ، وكل هذا هو ميدان الذوق الخاص، ومجال الشخصية الأدبية، أما المعاني فهي صدى لما يعرفه الجميع، وقد يفيض بها القلب، ويضيق بها الصدر ولا ينطلق بها اللسان. . .

وإذا كان المعنى جسماً واللفظ ثوباً، ـ كما يقول انصار المعنى، فإن الجسم واحد على أية حال، ولكنه يبدو في أنماط مختلفة من الثياب، وأشكال عديدة

(١) العمدة حـ ١/٨٢.